

أضواء البيان

@ 21 @ كَانُوا لَدِيْؤُهُمْ مِنْزُورًا إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّاهُ { الآية ، وقال تعالى : {
إِنَّ السَّادِّينَ حَفَّتْ عَلَيْهِمْ كَلِمَةُ رَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ * وَلَوْ
جَاءَتْهُمْ كُلُّ آيَةٍ { الآية . إلى غير ذلك من الآيات كما تقدم . .
وقال الزمخشري في تفسير آية الفرقان هذه : يأكل الطعام كما نأكل ، ويتردد في الأسواق
كما نتردد . يعنون أنه كان يجب أن يكون ملكاً مستغنياً عن الأكل والتعيش ، ثم نزلوا عن
اقتراحهم أن يكون ملكاً إلى اقتراح أن يكون إنساناً معه ملك ، حتى يتساعدا في الإنذار
والتخويف ، ثم نزلوا أيضاً فقالوا إن لم يكن مرفوداً بذلك ، فليكن مرفوداً بكنز يلقي
إليه من السماء ، يستظهر به ، ولا يحتاج إلى تحصيل المعاش ، ثم نزلوا فاقنعوا بأن يكون
له بستان يأكل منه ، ويرتزق كالدهاقين أو يأكلون هم من ذلك البستان ، فينتفعون به في
دنياهم ، ومعاشهم . انتهى منه ، وكل تلك الاقتراحات لشدة تعنتهم ، وعنادهم . وقرأ هذا
الحرف عامة السبعة غير حمزة والكسائي بأكل منها بالمثلثة التحتية ، وقرأ حمزة والكسائي
: جنة نأكل منها بالنون ، وهذه القراءة هي مراد الزمخشري بقوله : أو يأكلون هم من ذلك
البستان . قوله تعالى : { وَقَالَ الطَّالِمُونَ إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلًا
مَّسْحُورًا * أَنْظُرْ كَيْفَ ضَرَبُوا لَكَ الْأَمْثَالَ فَضَلُّوا فَلَا
يَسْتَطِيعُونَ سَبِيلًا } . ذكر جل وعلا في هذه الآية الكريمة : أن الطالمين وهم الكفار
قالوا للذين اتبعوا النبي صلى الله عليه وسلم : { إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلًا
مَّسْحُورًا } يعنون : أنه أثر فيه السحر فاختلط عقله فالتبس عليه أمره ، وقال مجاهد :
مسحوراً : أي مخدوعاً كقوله : فأنى تسحرون : أي من أين تخدعون ، وقال بعضهم : مسحوراً
: أي له سحر أي رئة فهو لا يستغني عن الطعام والشراب ، فهو بشر مثلكم ، وليس بملك ، وقد
قدمنا كلام أهل العلم في قوله : مسحوراً بشواهد العربية في سورة طه في الكلام على قوله
تعالى : { وَلَا يُفْلِحُ السَّاحِرُ حَيْثُ أَتَى } ولما ذكرنا هذا الذي قاله الكفار
في نبيه صلى الله عليه وسلم ، من الإفك والبهتان خاطب نبيه صلى الله عليه وسلم بقوله : {
أَنْظُرْ كَيْفَ ضَرَبُوا لَكَ الْأَمْثَالَ فَضَلُّوا فَلَا يَسْتَطِيعُونَ سَبِيلًا } ،
وما قاله الكفار في هذه الآية أعني قولهم : { إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلًا
مَّسْحُورًا } وما قاله الكفار في هذه الآية أعني قوله : { أَنْظُرْ كَيْفَ ضَرَبُوا
لَكَ الْأَمْثَالَ } . جاء كله مصرحاً به في سورة بني إسرائيل في قوله تعالى : { نَّحْنُ